من تراب الطريق (٣٥١) الزهر الصناعى ! (*)

هذا العنوان ، عنوان لقصيدة للمحامى الفقيه ، الشاعر الحكيم الفيلسوف محمد عبد الله محمد ..واحدة من قصائد ديوانه « العارف » الذى امتلأ بشعر الحكمة ، لا تكاد تطل على أى قصيدة من قصائده حتى تدرك أنه غواص يضرب فى الأعماق ويرنو إلى بعيد .. يحرك السواكن ، ويلفتك إلى بحور عميقة، يبحر فى لججها وأمواجها ، تلاطمه ويلاطمها ، آملا أن يصل إلى الشطآن .. تحت العنوان الموحى بمقصوده : «الزهر الصناعى» ـ يقول الشاعر الحكيم محمد عبد الله محمد :

ربما تُخْرَقُ الحدود فتقـوّى ... ويسُدُّ العِصيانُ أزرَ الوَلاء
ويجيء الوفاءُ فى خطْوةِ البُعدِ ... وتنمو مسرةٌ مِن بكـاءِ
وتموتُ الأوراقُ كى يولَدُ الفرْعُ ... وتَفْنـى الآباءُ للأبنـاءِ
ربما يزعجُ السكونُ أمانِـىَّ ... أثقلَتْ نومَهـا على الضوضاءِ

***

يأخذُ الضاحكُ الخفيفُ على الحُبِّ ... ضِعفَ ما يشتهى مِن الإطـراءِ
ويَقُصُّ الوقُـور أجنحة الأُنس ... ويشكُـو الملالَ فى العليـاءِ
عندما يفتـحُ الشَقَاءُ ذراعيـه ... فَيَمْلأَ الحيَـاة بالأعـداء
وشقاءُ الكِبار يلْتَحِفُ الكِبْرَ ... غريبُ الإيمـاءِ والإيحاءِ

***

(*) المال٣/ ١١/ ٢٠٠٩

مجازات النَّعِيمِ ولا نَعيمُ! وأَبْدالُ السرورِ ولا سُرُورُ
يَظَلُّ فُؤَادكَ المُشتاقُ يظمى وساقِيَةُ الوجودَ بهِ تدور
وتأخذُ منهُ ما يحلو لديها طيورُ الفكرِ تسكُنُ أو تثورُ
ولكم صالَحْتَ نفسَك باصْطلاح وكم عزَّى كرامتَكَ النفورُ

***

أفكر ما أفكِّرُ ثُـمَّ آوى ملءَ الكَفِّ بالعجزِ القديمِ
إلى رأيٍ عَلَيْه الكُلُّ نامـوا ويرْوِيه الفهيمُ عن الفهيمِ
سَلِيمٌ ها هُنَا أصْلا وفَصْلا وليس هُناكَ بالرأيِ السليمِ
وإجْمَاعُ البريَّةِ فى اعتقادٍ مَحَاقُ العقلِ والفِكر القويمِ

***

نُخاطِبُ نفسَنا فى كلِّ شـيءٍ ويُعْجَبُ مِن براعتِنا بنونَـا
ويَجْهلُنا الوجودُ ولا يَرانَا وما زَادَ الوجودُ بأنْ نكُونَـا
فهذا الشيخُ عاشَ على التَّصابِى يُحَدِّقُ منذ أن فَقَدَ العيونـا
ولا يدري لُغَاهُ ولا لُغَانَـا وَحَيَّرَ فى بَراعَتِهِ الظّنونَـا

***

مَعِى جَسَدٌ أراه ولا يَرانِـى أَجُرُّ عليه ألـوانَ الشـقاءِ
وأَزعُمُ أنَّـه يُودِى بروحِى ويدفعُنِـى لأوْدِية البَلاءِ

وخَصْمِى لا يُردُّ علىادعائى ولا يَقْوَى على ردّ الريـاءِ
تَحَمَّلنِى تَحَمُّلَ مُستميتٍ ليلفِظَنِى إذا حُمَّ انقضائِـى

***

يعلمُنى الوجـودُ خِدَاع نَفسى وإلاّ ما صَبَرْتُ على الوجودِ
تَوقّعتُ الأمانَ فَمِتُّ خوفا وعاقَبَنِى الهُبوطُ على الصعودِ
معانى الفكرِ تُفعِمُهـا أمانٍ ومَلْءُ إرادتى زَبَـدُ الوعـودِ
وزَوَّدَنـى التذكّـرُ بامتدادٍ فحوَلْتُ الخِداعَ إلى صُـمودِ

*****